قراءة في أدب السجون بالعالم العربي

أنس بوسلام*

يتمحور هذا المقال حول أدب السجون باعتبار أنّ هذا الأخير يمثّل مختلف أشكال التعبير (نصوص، قصص، أفلام، صور...) التي تعكس واقع الحياة الإنسانية داخل السجون، ويتطرق الموضوع عدداً من النقاط الأساسية: منها سلب الحرية ومحو بشرية الإنسان، وكذا مظاهر معاناة السجين البدنية والنفسية والإنسانية والاجتماعية. ودراسة السجن بوصفه عالمًا للمتناقضات والأضداد بامتياز.

لعلّها مفارقة وجودية كون أصغر الفضاءات (الزنازين) هي التي أنتجت أرحب التخيّلات والذكريات وأطول الاعترافات والأحلام. وهي مفارقة تبرز لدى معاينة (أدب السجون) بمختلف أشكاله التعبيرية. وفي هذا المقال اخترنا التجربة المغربية كنموذج لأدب السجون، وانفتحنا أيضًا على أبرز التجارب العربية، هذا وتعتبر المقاربة السيكوسوسيولوجية والتناول السيكوبيداغوجي والأشكلة الفلسفية أهم المداخل النظرية الأساسية -في نظرنا- لتناول موضوع كهذا.

ويحقّق تسليط الضوء على هذه القضية (أدب السجون) الأهداف الآتية:

- **الاستفادة من أدب السجون في الكشف عن الدلالات العميقة لتجربة فقدان الحقوق، ومنها الحرية والكرامة والعدل وغيرها.**
- **التوعية والتحسيس بمظاهر انتهاك آدمية الإنسان من خلال أدب السجون.**
- إدراك وتقدير أهمية التجارب الإنسانية للاعتقال السياسي ومراراته انطلاقًا من هذا النوع من الأدب.

وتكمن أهمية هذا النوع الأدبي في تناول موضوع الحرية وفقدانها من زاوية غير تقليدية، بل ومنفتحة على آفاق جديدة للدراسة، وهي أدب السجون باعتباره جنسًا أدبيًا يكتنز العديد من المعطيات والدلالات الإنسانية والنفسية والاجتماعية العميقة والمعقدة حول تجربة فقدان الحرية، وقد تكون هذه الأدبيات حول السجن أو عن مرحلة قبله أو مكتوبة أثناء إقامة الكاتب في السجن، وهي تتّخذ عدة أشكال مثل الرّواية والمذكّرات والقصص، وقد تكون واقعيّة أو محض خيال، كما أنّ الكتابة عن السجن تُعدُّ سلطة مضادة للسجّان. فإذا كان الجلّاد يحاول طمس معالم جريمته، فالكتابة يحاول المعتقل التذكير بها والتنصيص على حجم تجاوزات السلطة، وإذا كان السجن فضاءً سالبًا للحرية وحادًّا من الحركة الجسدية، فإنه عاجز عن سلب المعتقل حرية التفكير والتذكّر والحلم والكتابة.

* كاتب مغربي وباحث في سلك الدكتوراه

bariaani009@gmail.com